16 مليون شجرة اقتلعها الاحتلال خلال 8 أعوام

ناصر سومي يروي تاريخ الزيتون في فلسطين

تاريخ النشر: 19/10/2014

دبي - محمد أبوعرب:

وقع الفنان الفلسطيني العالمي ناصر سومي في غاليري الفنون في دبي كتابه الصادر حديثاً "فلسطين وشجرة الزيتون، تاريخ من الشغف"، الذي يسرد فيها حكاية الزيتون منذ آلاف السنين موثقاً بذلك سلسة رحلات قام بها إلى فلسطين، بالصور والبحث، والدراسة .

يأتي الكتاب الصادر بالفرنسية عن دار آكتخ سود، والذي نقله إلى العربية في طبعته الجديدة عن دار النهار المترجم هيثم الأمين، في 145 صفحة من القطع الكبير، مقسماً إلى ثلاثة فصول هي: "تاريخ شجرة الزيتون في فلسطين"، "وحضارة شجرة الزيتون"، "والاحتلال وشجرة الزيتون في فلسطين"، ويذكر في خاتمته احصائية تؤكد أن الاحتلال اقتلع مليوناً وستمئة ألف شجرة زيتون خلال الفترة من 2000 إلى 2008.

يقول سومي في حديثه للخليج حول حكاية الكتاب: "عدت إلى فلسطين في عام 1993 وقمت بجولة فيها، والتقطت الكثير من الصور، ومنذ ذاك العام وأنا أزور فلسطين كل سنة، وألتقط الصور، وحين اشتعلت حرب "إسرائيل" على الزيتون بقلعه وتقطيعه، عدت إلى الصور التي كنت التقطتها في كل رحلة، فوجدت أن أغلبها صورٌ للزيتون، فعملت منذ ذلك الحين إلى تخصيص زيارات لالتقاط صور الزيتون القديم وتتبع سيرته في فلسطين" .

ويضيف: "لفتني زيتون الرامة في القدس الذي تمتد فيه كروم تنمو فيها آلاف الأشجار، والتقطت صوراً للزيتونة التي كان سائداً أنها أقدم شجرة زيتون، يبلغ عمرها ثلاثة آلاف سنة، إلا أن الاحتلال تنبه إلى شجرة لم تكن معروفة ولم تكتشف من قبل، وجدت في منطقة الولجة في بيت جالا، حيث كان ينوي أن يمرر الجدار العازل بقربها ليقتلعها، فثار أهل المنطقة عليهم، ولفت الإعلام إليها، وحضر باحثون متخصصون من اليابان وأجروا دراسة لتقدير عمرها، ووجدوا أن عمر الشجرة يبلغ خمسة آلاف وخمسمئة وخمسين عاماً ويبلغ محيطها أكثر من 25 متراً" .

ويؤكد سومي أن وجود هذه الشجرة يكشف السبب الذي دفع "إسرائيل" إلى ممارساته تجاه الزيتون، فوجود هذه الشجرة ينفي دعايات "الإسرائيليين" بأنهم أحضروا الغطاء النباتي، والخضرة إلى أرض فلسطين، وأنها كانت قاحلة قبل أن يحتلوها" .

ويبيّن أنه عمل في الكتاب على تتبع تاريخ الزيتون منذ آلاف السنين، فصار تاريخ الشجرة موازياً لتاريخ فلسطين، يقول: "عدت إلى تاريخ الشجرة منذ الإنسان الأول مروراً بالعصر الحجري، وحتى اكتشاف الزراعة والعناية بأشجار الزيتون والعنب، وصولاً إلى العصر اليوناني، والروماني، والبيزنطي، والعثماني، مروراً بالانتداب البريطاني، ووصولاً إلى عصرنا الحالي" .

ويصف سومي كتابه بأنه فعل مقاومة تجاه ما شهدته وتشهده فلسطين على يد الاحتلال، حاول من خلاله أن يكشف السر الذي طالما ربط شجرة الزيتون بفلسطين، للحد الذي بات تتشكل فيه رمزاً يشبه أرضها .

ولا يكتفي الفنان بتتبع تاريخ الشجرة عبر عشرات المراجع والموسوعات العالمية والعربية، بل يقدم مؤلفاً فنياً تحضر فيه شجرة الزيتون بوصفها عملاً فنياً فوتوغرافيا، فالأشجار التي يوثقها سومي، تظهر بجذوعها التي تنمو منذ آلاف السنين وكأنها تكوينات بصرية باتت رمزاً ومدلولاً لمفهوم الأصالة، والهوية، والتاريخ" .

كما يعرض لأبرز الأكلات الشعبية القائمة على زيت الزيتون، وأهم الآلات التي كانت تستخدم في عصر الزيتون، والطرق التجارية التي كان تمر بها انطلاقا من فلسطين، وحتى بعض الفنون الشعبية التي تحضر فيها الشجرة بوصفها رمزاً للهوية الفلسطينية .